الحملة الفرنسية فى الخطاب التاريخى المصرى
(دراسة تحليلية لمناهج مادة التاريخ فى المرحلة الإعدادية)
(2006- 1960)

أ. هناء فريد

منذ أن ترك الإنسان الأول بصماته من رسوم وعلامات مختلفة على جدران الكهوف، تكونت ذاكرة الإنسانية، هذه الذاكرة التى من شأنها أن تبنى وتحدد هوية المجتمعات من خلال التصوير والتمثيل والرمز. ومنذ ذلك الحين تنوعت الأساليب والسبل لتصوير ما كانت عليه حياة المجتمعات بتكويناتها المختلفة حتى نشأت الكتابة التى كرّست لتسجيل أهم الأحداث وأهم الشخصيات التى برزت فى فترات معينة أو متتالية فى حياة هذه المجتمعات.

وكانت الأهداف المرجوة من كتابة التاريخ متعددة وأهمها تسجيل الأحداث وإبراز دور الشخصيات التى قامت أو أثّرت فى هذه الأحداث لتخدم الفكر السياسى أو الفكر الدينى أو الذات الشخصية كما كان هو الحال فى العصور القديمة فتسجل الأحداث على فترات زمنية طويلة متعاقبة دون أن تخضع هذه الأحداث لكتابة موضوعية ومنظمة، فهى ترصد لإحياء الماضى وإبراز أحسن أو أسوأ ما به بتضخيمه أو بطمسه.

وسواء كان تسجيل الأحداث وكتابة التاريخ يخدما أغراضا محددة وفى أحيان كثيرة وقتية ومعزولة بالنسبة للتسلسل التاريخى الذى عرف به كتابة التاريخ فيما بعد، فإن أهمية تسجيل الأحداث وكتابة التاريخ كانت على مرّ العصور مغروسة فى الثقافات المجتمعية وفى الإطار الحسى للقوميات، تخاطب الأجيال المعاصرة والقادمة لتزرع فيهم الإحساس بالانتماء لأرض الوطن وتغرس فيهم القيم والمعتقدات لتنمية الشعور بالمسئولية والترابط والتضامن.

وقد اهتم قدماء المصريين بتدوين تاريخ ملوكهم وأعمال هؤلاء الملوك لشعورهم بالانتماء إلى دولة كبيرة أنشأت حضارة عظيمة، فكان من واجب كل فرد فى المجتمع أن يتعرف على هذه الحضارة ويفتخر بها عن طريق تدريسها للتلاميذ؛ ليتشبعوا بروح الانتماء وعظمة بلدهم. لم تغب هذه الأهمية عن أذهان معلمى مصر القديمة، فقد كانوا دائما حريصين على تنبيه تلاميذهم إلى أهمية معرفة تاريخ بلدهم. نجد مثلا أن فى بردية تعاليم "مرى كا رع" من الأسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة يصور المعلم الحاكم المثالى والمسئول مستشهدا بأحداث سالفة وكيفية التعامل معها. أما البردية التى تسرد رحلة "ون آمون" فى عصر رمسيس الحادى عشر من الدولة الحديثة فهى تحكى بمنتهى الدقة الأحداث التى مرّ بها "ون آمون" فى رحلته إلى بلاد لبنان موضحا نوعية العلاقات التى كانت تربط مصر بدول حوض البحر المتوسط. وقد حرص كاتب هذه البردية على معالجة الأحداث معالجة تاريخية فى تتابعها الزمنى وفى دقة وصف الأشخاص والأماكن التى مرّ بها "ون آمون". وكانت هذه البرديات تستعمل فى مدارس مصر القديمة على مر القرون سواء لتعلم القراءة والكتابة أو للتعرف على الماضى والاستفادة من دروس هذا الماضى.

وإذا تأملنا اليوم مناهج التاريخ المقررة على تلاميذ مدارس مصر، نجد أن الأهداف مطابقة لما كان عليه فى الماضى، وإن كان مفهوم كتابة التاريخ قد تغيّر وتطور إلى حد كبير، إذ لم تعد كتابة التاريخ تقتصر على سرد الأحداث الخاصة ببلد بعينه وعلى الاستفادة من دروس الماضى وإعطاء النصائح لتفادى الأخطاء. وإنما

تشمل كتابة التاريخ جوانب عديدة من تاريخ الشعوب على المستوى القومى والمستوى العالمى، بالإضافة إلى تناول الأحداث وتفسيرها وتوضيح تأثيرها على مصير الأمم والشعوب.

تعتبر تربية النشء على معرفة تاريخ بلده من مهام الدولة الأساسية فى عصرنا الحديث لأهمية غرس بذور الانتماء والولاء فى نفوس التلاميذ وربط حاضرهم بماضيهم فى عملية مستمرة تربط مصائر الأجيال المتتالية عبر السنين والقرون. لذا تعرض المادة التاريخية فى المناهج المدرسية وفقا للخطط التى تضعها الدولة والتى تتمثل فى الاتجاهات والإرشادات التى تقرر الدولة إبرازها وتطويرها فى مناهج التاريخ بغرض تنمية المعرفة والحس التاريخى عند التلاميذ لخدمة فكر معين يكون مطابقا لتوجهات الدولة السياسية والأخلاقية والمنهجية.

لا تخرج مناهج التاريخ المقررة على تلاميذ مصر عن هذا الإطار وخاصة المناهج التى وضعت بعد ثورة يوليو 1952. ولا عجب فى هذا إذ إنه كان ضروريا ومنطقيا أن تعرض مادة التاريخ من منظور جديد يتفق مع الظروف الجديدة التى أنجبت فكر جديد وقيم جديدة تنذر بسلوكيات جديدة، ليس فقط تجاه الأحداث القادمة ولكن بالأخص تجاه الأحداث الماضية. كان على عاتق واضعى المناهج التاريخية أن يأخذوا فى الاعتبار كل هذه العناصر الجديدة محاولين توجيه فكر وشعور النشء الجديد إلى قيم كانت من وجهة نظرهم غائبة أو مطموسة فى مناهج ما قبل ثورة 1952. ومنذ قيام ثورة يوليو 1952 أصبح حاضر مصر وماضيها ومستقبلها فى يد أصحابها يغيب عنها أية وصاية خارجية أم داخلية تتحكم فى كتابة تاريخ هذا البلد الذى أصبح حرا مستقلا.

يحرص مسئولو المناهج التاريخية فى إرشادات إدارة المناهج والكتب بوزارة التربية والتعليم وفى مقدمة المقررات.. يحرصون على توضيح فلسفة الدولة العامة متمثلة فى الأهداف المعرفية والوجدانية والمهارية؛ من أجل غرس القيم السامية

والنبيلة فى نفوس التلاميذ. وعليه فقد جاء الخطاب التاريخى فى المقررات ممثلا ومترجما لهذه القيم من خلال الأحداث التاريخية التى يتناولها.

والسؤال الذى نطرحه هو: هل نجح واضعو المناهج التاريخية فى مصر من الوصول إلى الأهداف الموضحة فى إرشادات الوزارة وفى مقدمة المقررات؟ هل استطاع الخطاب التاريخى عند عرض الأحداث التاريخية أن يغرس فى نفوس التلاميذ القيم التى من أجلها وضعت هذه المناهج ؟ هل استطاع الخطاب اللغوى فى ترجمة هذه الأهداف؟ هل نجح المنهج الذى اتبع فى كتابة التاريخ من إتمام المهمة؟

للإجابة على هذه الأسئلة سوف نعتمد فى دراستنا على تحليل خطاب مناهج التاريخ وإرشادات ومقدمات المناهج التى وضعت بعد ثورة 1952 لتلاميذ المرحلة الإعدادية، والتى تتناول موضوع الحملة الفرنسية على مصر والشام فى الفترة ما بين 1798 و 1801.

ينبع اختيارنا لمناهج المرحلة الإعدادية من أن التاريخ فى هذه المرحلة من التعليم الأساسى يعرض بشكل من التوسع على عكس ما يجرى فى المرحلة الابتدائية الذى يتناول التاريخ بإيجاز، وإن كانت مادة التاريخ تدرّس فى هاتين المرحلتين ضمن المواد الاجتماعية أى ضمن مادة الجغرافية والتربية القومية، وبمعنى أنه لا تعرض فى كتاب منفصل عن هاتين المادتين، وبالتالى فإن عرض الأهداف سواء فى إرشادات الوزارة أو فى مقدمة المقرر يخص الثلاث مواد على حد سواء. ويبدو هذا واضحا فى عنوان الإرشادات لعام 2002-2003: "الأهداف العامة لمقررات الدراسات الاجتماعية (المرحلة الإعدادية) 2002/ 2003."

يبدأ تنمية الوعى التاريخى عند التلاميذ فى إطار العملية التعليمية ابتداء من المرحلة الابتدائية ويتعمق خلال المرحلة الإعدادية. تعتبر المرحلة الإعدادية من المراحل المهمة فى حياة التلميذ إذ إنه يبلغ حين يصل إلى هذه المرحلة سن الثانية عشرة وينهيها فى سن الخامسة عشرة. يتطور خلال هذه الفترة من عمر التلميذ

إدراكه الذهنى وقدراته فى الفهم والتحليل والاستيعاب والنقد، ويتم أيضا تنمية حسه بالنسبة للمجتمع الذى يعيش فيه والوطن الذى ولد فيه كما يزيد إدراكه بالأحداث التى مرت به فى تاريخه. يكمن الاختلاف بين المرحلتين الابتدائية والإعدادية فى مضمون المنهج الذى يعرض لتناول المادة التاريخية، فيهتم المؤلفون فى المرحلة الابتدائية بعرض أحداث التاريخ فى مجملها، وبإيجاز ليكون الهدف من هذه المرحلة هو أن يتعرف التلميذ على الملامح العامة لتاريخ بلده دون الدخول فى تفاصيل الأحداث. أما واضعو مقررات المرحلة الإعدادية فيعرضون التاريخ بنوع من التفصيل محترمين فى ذلك التتابع الزمنى للأحداث وكاشفين الظروف التى أحاطت بكل فترة موضحين الأسباب التى أتت بالحدث ومبينين النتائج التى ترتبت عنه. ويأتى عرض الأحداث وأسبابها ونتائجها ضمن مشروع غرس القيم الوجدانية والمعرفية والمهارية فى نفوس النشء كما هو موضّح فى أهداف الإرشادات العامة للوزارة ومقدمة المقررات.

لا يخرج العرض التاريخى للحملة الفرنسية على مصر والشام عن هذا المنهج وذلك المشروع، وسوف نحاول فى تحليلنا من خلال هذا الحدث بالذات أن نوضح مدى استيفاء النص التاريخى للأهداف التى رمت إليها الإرشادات والمقدمات، وكيف تمخضت داخل الخطاب الذى كوّن النص التاريخى.

إن الإرشادات العامة لتدريس مادة الدراسات الاجتماعية واضحة الأهداف من حيث التوجيهات لاكتساب المعرفة وتوطيد القيم الوجدانية وتنمية المهارات. يتم عرض الإرشادات فى نقاط عبارة عن جمل اسمية تبدأ بمصدر اسمى مثل: التعرف، تقدير، إصدار، تنمية، تأكيد، تحقيق. فجاءت كلمة "التعرف" ثمانى مرات للتعبير عن الأهداف المعرفية، وكلمة "تنمية" إحدى عشرة مرة للتعبير عن الأهداف الوجدانية والمهارية، وكلمة "تقدير" ثلاث مرات للإعراب عن الأهداف الوجدانية، و"إصدار" و"تأكيد" و"تحقيق" و"إبراز" مرة واحدة للتعبير عن الأهداف الوجدانية كما هو موضح فى الجدول التالى:

المصدر الاسمى	عدد مرات استخدام المصدر الاسمى	نوعية الأهداف	محتوى الهدف
التعرف	8	أهداف معرفية	على مظاهر البيئة على الظروف والعوامل والخصائص على النظم والمؤسسات على العصور التاريخية على دور الشعوب على المفاهيم والحقائق على أساليب التفكير العلمى على التطورات والأحداث
تنمية	11 4 7	أهداف وجدانية أهداف مهارية	القدرة على تقبل الرأى والرأى الآخر اتجاه إيجابى نحو التعلم الذاتى أهمية التكامل الاقتصادى القيم الروحية والفضائل الخلقية مهارة قراءة الخرائط مهارة قراءة وتفسير الجداول والرسوم البيانية مهارة استخدام الأشكال التوضيحية مهارة عمل الرسوم البيانية القدرة على الملاحظة مهارة إعداد وقراءة الأبحاث القدرة على المقارنة والربط بين ما يدرس وما يحدث فى المجتمع
تقدير	3	أهداف وجدانية	عظمة الخالق دور الأمم فى بناء حضاراتها أهمية العلم ودور المعلم والعلماء

إصدار	1	أهداف معرفية	أحكام صحيحة وموضوعية
تأكيد	1	أهداف وجدانية	انتماء مصر للعالم الإسلامى والإفريقي
تحقيق	1	أهداف وجدانية	الانتماء للوطن
إبراز	1	أهداف وجدانية	أهمية الوحدة الوطنية

يتضح لنا من البيان السابق أن أكثر المصادر الاسمية استعمالا هى "التعرف" و"تنمية" سواء استعمل هذان المصدران للأهداف المعرفية أو الوجدانية أو المهارية فى جمل اسمية دون الإشارة إلى من "يعّرف" أو من "ينمى"، ولمن يعّرف أو عند من ينمى، فمثلا فى حالة التعرف على مظاهر البيئة أو على العصور التاريخية أو على دور الشعوب فى بناء حضاراتها فإنه من الواضح أن المصدر الاسمى موجه إلى التلميذ ليحصل ويكتسب هذه المعلومات.

تنطبق هذه الملاحظة على بقية المصادر الاسمية لتشمل كل أهداف الإرشادات العامة لمقررات الدراسات الاجتماعية التى تخص أولا التلميذ فهو المتلقى الأساسى الذى لابد "أن يتعّرف" و لابد "أن ينمى" قدراته ومهاراته.

ولكن لابد ألا ننسى أن هذه الإرشادات موجهة قبل كل شيء إلى المعلم لكى يقرأها ويأخذ بها لنقل وتوصيل المعلومة المعرفية والقدرات المهارية والقيم الوجدانية للتلميذ. وتظهر هذه الإرشادات أهمية دور المعلم عند تدريس المواد الاجتماعية، فيقع على عاتقه مسئولية العملية التعليمية بكل أبعادها المعرفية والوجدانية. وتؤكد الإرشادات الخاصة بتدريس مادة التاريخ هذا الدور إذ يشير عنوان هذا الجزء من الإرشادات إلى مهام المعلم فى جملة فعلية: "يجب عند تدريس التاريخ"، تستند على فعل الوجوب "يجب" يصحبه شبه جملة ظرفية "عند تدريس التاريخ" التى تشير ضمنا إلى فاعل تدريس التاريخ أى المعلم الذى لابد عليه أن يقوم بـ: "التركيز و"إبراز" و"إظهار" فى سلسلة من النقاط التى توضح ما يجب التركيز عليه وما يجب إبرازه وإظهاره. ويتوقع القارئ أن تستكمل هذه المصادر الاسمية بالأهداف التى ذكرت فى الإرشادات العامة ألا

وهى الأهداف الثلاثة المعرفية والوجدانية والمهارية، ولكن يتركز الوجوب هنا أساسا على الأهداف الوجدانية لتنمية قيم أخلاقية عند التلميذ مرتبطة بمفاهيم الوطنية والمواطنة والانتماء إلى الوطن والشعور بالفخر والاعتزاز، وذلك على النحو التالى:

- "التركيز على مظاهر الحضارة المصريه القديمة"،
- "إبراز دور المصريين فى تطور هذه الحضارة"،
- "دور الحضارة الإسلامية فى حماية الأمة الإسلامية والعربية من الأخطار الخارجية"،
- "إظهار دور الشعب المصرى فى النهضة الحديثة"،
- "إظهار دور مصر فى صد الغزاة فى جميع العصور والتصدى للتدخل الأجنبى ومقاومة العدوان على الشعوب العربية"،
- "إبراز دور العلماء ورجال الفكر والاقتصاد الذين أثروا فى مصر".

من الواضح أن كل هذه النقاط لا تستحوذ الأهداف المعرفية أو المهارية إلا بطريقة ضمنية وغير مباشرة، وبالعكس تحدد بوضوح الهدف الوجدانى الذى من أجله تدرّس مادة التاريخ بالإشارة إلى فاعلين أساسيين على الساحة التاريخية تربطهما علاقة خصومة وصراع بين الخير والشر. تقوم مصر وبالتالى المصريون بدور الفاعل الأول فى صورة إيجابية تظهر عظمة الحضارة المصرية على مر العصور وتبرز حب المصريين لوطنهم. أما الفاعل الثانى فتصوره هذه النقاط فى صورة العدو المهاجم الذى يطمع فى الاستيلاء على أرض الوطن ويهدد سلامته.

ويوضح الجدول التالى تلك الثنائية القائمة على الصراع والتحدى بين الخير والشر والتى تهدف إلى تنمية الشعور بالوطنية عند التلاميذ.

الفاعل الأول	صورة إيجابية (الخير)	الفاعل الثانى (الشّر)	الهدف
مظاهر الحضارة المصرية القديمة			معرفى
دور المصريين	فى تطور الحضارة المصرية القديمة وما حولها من حضارات		معرفى ووجدانى
دور الحضارة الإسلامية	فى حماية الأمة الإسلامية	من الأخطار الخارجية	وجدانى
دور الشعب المصرى	فى النهضة الحديثة منذ عهد محمد على حتى الوقت الحاضر		وجدانى معرفى من حيث التسلسل التاريخى
دور مصر	فى صد والتصدى ومقاومة	الغزاة للتدخل الأجنبى العدوان	وجدانى وجدانى وجدانى
دور العلماء ورجال الفكر والاقتصاد	الذين أثروا على مصر		وجدانى

إن الهدف من التركيز على دور مصر فى بناء وحماية حضاراتها هو وجدانى أكثر مما هو معرفى. وإن كانت الناحية المعرفية متواجدة أيضا ولكن موظفة كمادة يرتكز عليها لتنمية الشعور بالوطنية تجاه أمة بأكملها. يشار إلى هذه الأمة بمسميات مختلفة لإظهار تعدد مظاهرها و طول المدة الزمنية التى استغرقتها كل حضارة مثل "الحضارة المصرية القديمة"، "الحضارة الإسلامية"، "الشعب المصرى"، "مصر". ويأتى هذا الهدف الوجدانى لتعزيز شعور الفخر عند التلميذ بالانتماء لهذه الأمة وحضاراتها سواء أكان دور هذه الأمة موجها للنهوض بها كما هو الحال فى عصر محمد على أم للتأثير إيجابيا على الحضارات الأخرى. يبدو أن الدور الأساسى المراد

إظهاره يكمن فى تصوير تصدى مصر للغزاة وحماية أراضيها من العدو المشار إليه بمسميات متعددة مثل:"الأخطار الخارجية"، "الغزاة"، التدخل الأجنبى"، "العدوان".

إن تعزيز روح الوطنية هنا ليس موظفا لبناء الأمة والإعلاء بها، ولكنه يضع دائما هذه الأمة فى وضع الضحية التى لا بديل لها إلا الدفاع عن نفسها ضد الغزاة عبر التاريخ، فهى "تحمى" و"تصد" و"تتصدى" و"تقاوم" عدوا، وبالتالى تكون دائما فى وضع دفاعى أمام قوة عسكرية أجنبية تحاول الاستيلاء على أراضيها وتدمير حضارتها باستلاب إرادتها واستقلالها.

يؤكد مؤلفو المقررات الدراسية هذا المفهوم فى مقدماتهم بالتركيز على تصوير مصر فى وضع الضحية التى عانت عبر العصور من التدخل الأجنبى فى شئونها خاصة ابتداء من حقبة الحكم العثمانى إلى ثورة يوليو سنة 1952 موجهين خطابهم إلى التلاميذ مباشرة بقولهم:"تلاميذ وتلميذات"، أو باستخدام عبارات عاطفية مثل: "عزيزى الطالب"، "أبناؤنا التلاميذ والتلميذات". إن المخاطبة المباشرة للدارسين هو بمثابة توجيه عناية التلاميذ إلى قراءة ودراسة المادة التاريخية بالطريقة التى يشير إليها مؤلفى المقررات. وإن كانت إرشادات الوزارة تخاطب المدربين ومقدمات المقررات تخاطب التلاميذ، ففى كلتا الحالتين يكون الهدف واحدا: تناول التاريخ من الزاوية الوجدانية لاستثارة العواطف تجاه المادة نفسها التى تصور الوطن فى وضع الضحية أمام أطماع الاستعمار وفى وضع المدافع عن حريته واستقلاله. إذ تشير بوضوح مقدمة مقررات الدراسات الاجتماعية لسنة 2005- 2006 أنها تتناول "دراسات فى تاريخ مصر الحديث مع التأكيد على طبيعة الشعب المصرى ورفضه لجميع أشكال التدخل والاستعمار، وذلك منذ الفتح العثمانى حتى الجهود الحالية للنهوض بمصر والدخول بها إلى آفاق القرن الحادى والعشرين". ويستدل من هذه الفقرة أن مصر منذ الفتح العثمانى كانت تقع تحت وطأة الغزاة ومنهم العثمانيين حتى استطاعت التخلص منهم لكى تدير جهودها للنهوض بالبلاد. ينحصر إذًا دور مصر فى الدفاع عن نفسها من

الأعداء من جهة، وفى محاولات للنهوض من جهة أخرى. وصورة مصر فى كلا الموقفين ليست بالإيجابية، ففى الأولى "ترفض أشكال التدخل" وتدافع عن نفسها، وفى الثانية "تبذل الجهود للنهوض" وتحاول الدخول قوية فى القرن الحادى والعشرين، بمعنى أن مصر لم تستطع على مر أربعة قرون أن تبنى نفسها لكى توصف بالبلد المزدهر القوى.

أما كتابة المادة التاريخية ومعالجة محتواها، فيوضح مؤلفو المقررات فى المقدمة أنها تؤكد أولا على "قيمة الانتماء والولاء للوطن" الذى يصفونه "بالغالى"، ثانيا على "تقدير الزعامات الوطنية وما قدمته من عطاء للوطن"، ثالثا على "إبراز صمود وكفاح الشعب المصرى من أجل الحرية والاستقلال". وإلى جانب القيم الأخلاقية الواضحة فى هذه الفقرة التى تتواءم مع الأهداف الوجدانية سالفة الذكر، يحدد مؤلفو مقررات التاريخ الشخصيات التى سوف يكون لها دور فى الأحداث التاريخية، منها شخصيات فردية مثل "الزعامات الوطنية" وعطائها للوطن، وأخرى جماعية متمثلة فى "الشعب المصرى" وكفاحه من أجل الحرية. وسواء كانت الشخصيات فردية أم جماعية فهى تصور على أنها نموذج للبطل يقتضى الاقتداء به على عكس تصوير الخصم الذى يحاول سلب "حرية واستقلال" هذا البلد.

يبرهن النص التاريخى الذى يعرض المادة التاريخية للحملة الفرنسية هذا التحليل، إذ يقدم من خلال أحداث الحملة الفرنسية على مصر التصور التاريخى الذى يخدم الأهداف المعرفية والوجدانية المذكورة أعلاه من خلال الأحداث والشخصيات الفردية أو الجماعية: من ناحية الشعب المصرى والزعامات الوطنية ومن ناحية أخرى الجيش الفرنسى وقياداته، تربطهم علاقة خصومة وعداء، تنتهى بالطبع بانتصار الوطن والشعب المصرى.

وتبرز مقررات ما بعد 1952 تلك العلاقة الثنائية القائمة على الصراع فى عدة أحداث تحت عناوين رئيسية وثانوية كما هو مبين فى الجدول التالى:

مقرر الصف الثالث الإعدادى لسنه 1960. من ص 47 إلى ص 79	مقرر الصف الثالث الإعدادى لسنة 1985-1986. من ص 22 إلى ص 33	مقرر الصف الثالث الإعدادى لسنة 2005-2006. من ص 83 إلى ص 88
قيام الحملة من فرنسا موقف انجلترا وصـــول نابلـــيون إلى الإسكندرية موقف المماليك دخول الفرنسيين القاهرة إصلاحات نابليون الإدارية معـركة "أبـى قـير" البحرية ونتائجها ثورة القاهرة سياسة نابليون بعد الثورة حملة نابليون على سوريا نـتائج فـشل نابلـيون فى فتح عكا مـــوقعة أبـــى قـــير الـــبرية وهروب نابليون حالـة الحملـة الفرنـسية بعد سـفر نابلـــيون واتفاقـــية العريش ومعركة عين شمس الجنرال مينو نتائج الحملة الفرنسية المقاومـة الـشعبية فى مـصر وسوريا فى مصر. ثورة القاهرة الثانية فى سوريا. أحمد الجزار	الحالة فى فرنسا قبل الحملة أولا- أسباب الحملة ثانيا - الاستيلاء على مصر الإعداد للحملة خط سير الحملة احتلال الإسكندرية الزحف على القاهرة موقعة شبراخيت موقعة إمبابة أو الأهرام تسليم القاهرة مطاردة المماليك مـــوقعة "أبـــو قـــير" البحـــرية ونتائجها صور من مقاومة مصر للحملة ثالـثا- ثـورات المصريين وتدخل تركيا وانجلترا ثـــورة القاهـــرة الأولى (أكتوبـــر 1798) التدخل التركى والانجليزي حملة بونابرت على الشام: أسبابها سير الحملة موقعة "أبو قير" البرية عودة بونابرت إلى فرنسا مفاوضات الصلح بين الفرنسيين والعثمانيين ثـورة القاهرة الثانية (20 مارس 1800) جلاء الفرنسيين رابعا- نتائج الحملة الفرنسية	أسباب الحملة الحملة على مصر الاستيلاء على مصر موقعة إمبابة دخول القاهرة مـوقعة أبـى قير البحرية (أغسطس 1798 م) ونتائجها سياسة نابليون فى مصر ثورة القاهرة الأولى (أكتوبر 1798م) الحملـة الفرنسية على الشام (فبراير 1799 م) سير الحملة موقعة أبى قير البرية (يوليو 1799 م) اتفاقية العريش (يناير 1800 م) ثورة القاهرة الثانية (مارس 1800 م) مينو وجلاء الفرنسيين عن مصر نتائج الحملة

obeikan.com

	النتائـــج الحربيـــة النتائـج السياسيـــة النتائـج العلميـــة النتائج الاقتصاديـة النتائج الاجتماعيـــة مقـــتطفات وثائقـــية للقـــراءة والدراسة	

يمكننا أن نستخلص من خلال الجدول السابق مفهوم كتابة التاريخ فى عرض أحداث الحملة الفرنسية على مصر حيث يتناول المؤلفون المادة التاريخية بإظهار أسباب ونتائج الحملة على مصر كما هو واضح من العناوين، وبعرض الأحداث ذاتها على أنها نتيجة حتمية للأسباب التى أدت إلى قيام الحملة. ويختار المؤلفون عند تناول الأحداث الكتابة السردية التى تتبع الخط الزمنى للأحداث بتواريخها المتعددة والموظفة على أن تكون بمثابة المراحل المختلفة لتطور الحدث، يستطيع التلميذ من خلالها أن يتدارك الحدث ويتعرف عليه وعلى تفاصيله ليحفظه.

ويلاحظ أنه كلما تضاءل عدد صفحات النص التاريخى زاد عدد التواريخ، وهذا واضح فى المقررات المذكورة فى الجدول السابق، إذ يتكون مقرر سنة 1960 من 32 صفحة يتخللها 8 تواريخ فقط، فى حين أن مقررات سنة 1985–1986 وسنة 2004–2005 تتكون كل منها من 12 صفحة و6 صفحات، أما تواريخ المقرر الأول فعددها 19 تاريخا والمقرر الثانى عددها 13 تاريخا.

إن تجريد الحدث من النص التاريخى وتحويله إلى نقاط موجزة متتالية تستند على التواريخ، يفقده ترابطه المنطقى ويظهر كل حدث على سواه غير متماسك مع الحدث السابق أو الحدث التالى. وهذا التناول للنص التاريخى يتعارض مع مفهوم كتابة التاريخ المبنى على إبراز الأسباب التى ينتج عنها الحدث والتى من خلالها يمكن فهم سلوكيات الفاعلين والقرارات التى يتخذونها للتأثير فى مجريات الحدث فى إطار يشمل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تحيط بكل طرف ومصالحه.

من ناحية أخرى إن الهدف من كتابة وتدريس التاريخ ليس فقط التعرف على الأحداث التى مر بها الوطن والعالم فى الماضى، إنما هو محاولة البحث عن الأسباب التى أدت إلى الحدث وفهمها والتعرف على دور ومسئولية كل الأطراف فى خلق الحدث وتطويره من خلال البحث والتحليل والنقد البناء. وذلك لا يحدث إلا عن طريق تنمية الأهداف المهارية لدى التلميذ. لقد أغفلت مقررات مادة التاريخ للمرحلة الإعدادية هذا الهدف فى عرض الحملة الفرنسية على مصر ونظرت للحدث التاريخى فى حد ذاته ليتفق مع الأهداف المعرفية والوجدانية المذكورة فى الإرشادات ومقدمة المقررات، فالأهداف المدرجة فى بداية كل درس، وبالتالى فى بداية الدرس الذى يتناول الحملة الفرنسية على مصر تشير ضمنا إلى هذين الهدفين وتغفل ذكر الأهداف المهارية وتوضيح سبل اكتسابها وتنميتها إذ إن المطلوب من التلميذ أن "يتعلم" فقط:

أسباب الحملة/ أهم أحداثها / الحكم الفرنسى فى مصر / ثورات المصريين ضد الفرنسيين.

تأتى أسباب الحملة كنتاج للخلاف الحاد بين فرنسا وانجلترا، ويذكر النص التاريخى أنه أمام قوة الأسطول البريطانى "فكرت" فرنسا فى الاستيلاء على مصر بالرغم من تبنيها مبادئ ثورتها من "حرية وإخاء ومساواة". ولا يشرح مؤلفو المقررات هذا التناقض فى السلوك الفرنسى ولا يذكرون فى هذا الإطار الأفكار الاستعمارية التى كانت قد تبلورت أثناء القرن الثامن عشر فى أوربا نتيجة الثورة الصناعية التى دفعت البلاد الأوربية إلى التنافس على الاستيلاء على الموارد الطبيعية الموجودة فى القارات الأخرى. فلا يربط مؤلفو المقرر بين الحدث والأطر العامة التى أتت به والتى كانت لها أثر كبير ليس فى مصير شعب مصر فقط، إنما فى مصير شعوب الدول الإفريقية والآسيوية أيضا.

إن إغفال الإطار العام للأيديولوجية الاستعمارية التى سادت هذا العصر يجعل من استيلاء فرنسا على مصر حدثا فرديا مختصرا على مصر وحدها، فتبدو وكأنها

الضحية الوحيدة التى وقعت تحت وطأة الاستعمار الفرنسى وأصبحت فريسة الأحداث التى توالت عليها الواحدة تلو الأخرى. فيعرض النص التاريخى فى المناهج فى صورة قصة قصيرة تتلخص أحداثها الأساسية على النحو التالى: تتعرض مصر لهجوم فرنسى، من ناحية يتقدم الجيش الفرنسى، ومن ناحية أخرى يفشل جيش المماليك فى التصدى إليه فى معارك ومواقع يخرج منها الجيش الفرنسى منتصرا، وأمام فشل الجيش المملوكى فى حماية الوطن تنهض مصر كشعب وتقاوم المعتدى بكل السبل.

يساهم سرد الحدث بهذه الطريقة فى التركيز على المشاعر والعواطف، ويصبح النص التاريخى عبارة عن قصة صراع بين الشر والخير تترجم عبر مفردات تحمل فى مدلولها معانى الخصومة والعداء مثل: "موقعة"، "معركة"،"زحف"، "استيلاء"، "احتلال"، "مقاومة"، "ثورة". يتم تصوير هذه "القصة" فى بناء ثنائى غير متكافئ يظهر من ناحية قوة الطرف الفرنسى من حيث تجهيز الجيش من معدات وأعداد أفراده ونظامه، ومن ناحية أخرى يظهر ضعف الطرف الثانى أى مصر الدولة من حيث عدم تنظيم الجيش المملوكى وقلة أعداد أفراده، ومن حيث الصراعات الداخلية وسوء الأحوال الاقتصادية التى من شأنها أنها أضعفت موقف مصر ككيان مؤسسى أمام العدوان الفرنسى.

وترتب عن هذا الوضع المتردى استعمال مفردات فى العناوين تحمل مدلول الاستسلام والخضوع مثل: "احتلال" و"استيلاء" و"تسليم" و"مطاردة" ومفردات أخرى فى النص ذاته تترجم عدم قدرة مؤسسة الجيش المملوكى "غير المصرى" الصمود أمام العدو حيث "انهزم المماليك لاعتمادهم على الفروسية، بينما كان الفرنسيون يستخدمون المدافع والمعّدات الحديثة" فى موقعة شبراخيت، وفى موقعة إمبابة انهزم المماليك مرة ثانية "وقتل منهم عدد كبير"، وفرّ القائدان مراد بك وإبراهيم بك.

ويختلف موقف مصر ككيان شعبى من العدوان الفرنسى عن موقف الجيش

المملوكى الذى أخفق فى مهمته وفشل فى صد العدوان، إذ حرص مؤلفو المقررات أن يظهروا مقاومة الشعب المصرى وبسالته أمام الجيش الفرنسى منذ اللحظة الأولى وأكدوا على الدور الجماعى والفردى للمقاومة ككيان واحد ذى الأهداف الواحدة أى ردّ العدوان وإن كان لم ينجح هذا الكيان الشعبى فى صد نابليون فى الإسكندرية، فقد قاوم الهجوم وسقطت المدينة "بعد مقاومة أهلها بزعامة السيد محمد كريم".

يتجلى الدور الشعبى عند قيام ثورة القاهرة الأولى والثانية برفضه للأوضاع التى فرضها عليه المحتل من ضرائب قاسية وظلم وقهر حيث "أعدم بعض المصريين ومنهم السيد محمد كرّيم، فازدادت نفوس المصريين غضبا"، و"ثار الشعب". ويأتى رد الفعل الفرنسى عنيفا وقاسيا خاصة على الرموز الدينية حيث أطلقت المدافع على حى الأزهر، وإن كان الأسوأ قد جاء من قبل الجنود الفرنسيين الذين اقتحموا "الجامع الأزهر بخيولهم وعاثوا فيه فسادا".

يعرض النص التاريخى قوة وشراسة المقاومة الشعبية بطريقة غير مباشرة من خلال وصف شدة رد الفعل الفرنسى أثناء ثورة القاهرة الأولى، إذ يؤكد مؤلفو المقررات أن الثورة الشعبية قد قُوبِلَت بأساليب عنيفة وقوية عندما اتخذ الفرنسيون إجراءات قاسية لإخمادها من "إعدام الناس" و"فرض الغرامات المالية" على الأهالى و"إلغاء الديوان" لمعاقبة شعب بأسره تجرّأ وثار على من هو أقوى منه.

لكن يختلف الأمر عند سرد أحداث ثورة القاهرة الثانية حيث لا يصفها مؤلفو المقررات من خلال رد الفعل الفرنسى، ولكن يعرضونها بشىء من التفصيل من خلال ما قام به الشعب "بزعامة السيد عمر مكرم نقيب الأشراف" من إقامة المتاريس وحفر الخنادق وإغلاق أبواب المدينة واشتداد الثورة فى أحياء القاهرة خاصة فى بولاق. وإن كانت الثورة قد أخمدت للمرة الثانية، إلا أن النصر جاء على يد سليمان الحلبى الذى قتل القائد الفرنسى كليبر فى منزله. يركز النص التاريخى عند سرد أحداث ثورة القاهرة الثانية على دور القوى الشعبية وعلى دور الزعماء

مثل السيد عمر مكرم الذى قاد الغضب الشعبى أو سليمان الحلبى الذى خلص مصر من الطاغية الفرنسى والاحتلال. ويفهم من تسلسل الأحداث أن جلاء الفرنسيين من مصر وإن جاء بسبب الضغط البريطانى إلا أن الفضل يرجع إلى سليمان الحلبى الذى خلص مصر من كليبر، وبالتالى من خليفته مينو الذى "اضطر إلى التسليم (سبتمبر 1801 م)، وبذلك انتهت الحملة على مصر".

يوضح العرض السابق تبنّى الرؤية الثنائية القائمة على علاقة العداء والصراع فى عرض الأحداث التاريخية فى المناهج المدرسية، هذه الرؤية التى تجعل من الحدث نفسه محور المادة التاريخية، ينتهى الحدث عندما ينتهى الصراع بين الطرفين كما هو واضح فى آخر جملة من مقرر 2005-2006: "وبذلك انتهت الحملة على مصر" كما لو كان لا مردود للحدث على المجريات فى المستقبل إلاّ فى حدود معينة.

يظهر هذا بوضوح عند تناول نتائج الحملة السياسية التى توضع فى الإطار الزمنى الخاص بالحدث بمعنى أنها تنطوى على الحقبة الزمنية التى استغرقتها الحملة أى ثلاث سنوات فقط، كما تعرض فى إطار العلاقة الثنائية العدائية بالإشارة من ناحية إلى انتهاء العدوان الفرنسى دون أن يحقق أهدافه وبالإشارة من ناحية أخرى إلى إيقاظ الروح القومية لدى المصريين. وتشير أيضا النتائج السياسية للحملة إلى مطامع بريطانيا المستقبلية حيث أدركت بريطانيا "أهمية موقع مصر الجغرافى" فحرصت "على الحيلولة دون وقوع مصر مرة أخرى فى يد إحدى الدول الأوروبية القوية". إن الإشارة إلى بريطانيا فى هذا السياق ينبئ بوقوع مصر مرة أخرى فى تلك العلاقة الثنائية العدائية عند تناول أحداث الاستعمار البريطانى على مصر.

أما عن النتائج العلمية للحملة فيصفها النص التاريخى "بأعظم النتائج"، حيث استطاع الفرنسيون "دراسة أحوال مصر من مختلف نواحيها، وألفوا كتابا أسموه وصف مصر يتضمن وصف مصر من أقدم العصور حتى نهاية عهد الحملة". ولا تشير هذه النتائج إلى أهداف الفرنسيين من القيام بهذه الدراسات ولا تذكر مغزاها بالنسبة للأيديولوجية الاستعمارية الفرنسية المبنية على القوة العسكرية من ناحية

وعلى التأثير الثقافى من ناحية أخرى، بل بالعكس يذهب مؤلفو المقررات إلى أبعد من ذلك عندما يذكرون توجه المصريين إلى الأخذ "بأساليب المدنية الحديثة فى النواحى الاقتصادية والثقافية وغيرها"، ويفهم من ذلك أنه لولا الحملة لما تأتى للمصريين الأخذ بالمدنية الحديثة فى عصر محمد على.

إن تقييم النتائج على هذا النحو الإيجابى يجعل مؤلفو المناهج وكأنهم يتبنون نظرية "الاستعمار الإيجابى" التى تحاول أن تقرها اليوم بعض الدول الاستعمارية القديمة والتى تفيد بأنه لابد ألاّ ينظر إلى الاستعمار بمساوئه فقط، بل لابد أن يعترف أنه جاء بإيجابيات أتاحت للمجتمعات المستعمرة الفرصة للتمدين والتعرف على أساليب الحياة العصرية والحديثة، سواء كانت من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية. تعتمد هذه النظرية على أفكار راجت أثناء القرن الثامن عشر مفادها إنقاذ الشعوب من التخلف والفقر والعبودية، تلك الأفكار التى ضمّنها بونابرت فى منشوره الأول الذى أذاعه على المصريين ليعلن عليهم "أنه جاء مصر للقضاء على ظلم المماليك"، وأنه يكن كل الاحترام للدين الإسلامى والقرآن الكريم والعادات والتقاليد المصرية.

إن التركيز على النتائج الإيجابية بهذا الشكل يضع دارس المادة التاريخية فى تناقض، من ناحية يتعرف على مدى المساوئ التى جلبها الاستعمار لوطنه ومن ناحية أخرى يقرأ فى النص التاريخى أن هذا التدخل الأجنبى وإن باء بالفشل إلا أنه جاء بنتائج إيجابية سمحت للبلاد الدخول فى عصر الحداثة والمدنية عن طريق الاحتكاك بالخارج والاضطلاع على كل ما هو حديث بفضل ما اصطحبه الفرنسيون معهم إلى مصر. وفى هذا السياق يوحى عدم إشارة النص التاريخى إلى إرادة مصر محمد على تبنى "أساليب المدنية الحديثة" لتطوير البنية والحياة المصرية إلى أن الفضل يرجع فى ذلك إلى الحملة الفرنسية. وكان بإمكان مؤلفى المقررات التاريخية أن يؤكدوا أنه قلما يأتى النهوض بالمجتمعات من الخارج سواء بالقوة أو بالسلم، وإنما ينبع النهوض بالوطن من إرادة داخلية تدفع عزيمة الشعوب فى

مشروع نهضوى قومى، وذلك ما حدث عند تولى محمد على حكم مصر وأخفقت نتائج الحملة الفرنسية بالإشارة إليه.

* * *

الخاتمة

يتيح لنا هذا العرض التوقف أمام الأهداف المعلنة لدراسة مادة التاريخ لتلاميذ المرحلة الإعدادية لكى نتساءل عن نوعية القيم التى يود تلقينها للتلاميذ عبر أحداث الحملة الفرنسية على مصر: إذ يتم تصوير مصر والمصريين طبقا لثنائية "القاهر والمقهور"، ثنائية تظهر مصر فى دور الضحية التى تقاوم فى الداخل حكاما ضعافا ليسوا مصريين وغير قادرين على حمايتها، وفى نفس الوقت تصورها فى دور بطولى تقاوم عدوانا خارجيا يحاول سلب ثرواتها وحريتها.

يضاف إلى هذه الثنائية ثنائية أخرى فى عرض النتائج حيث الإخفاق السياسى للحملة ومتابعته بالإنجاز فى إيقاظ روح المقاومة عند المصريين يجعل تقييم هذه النتيجة بالإيجابية حتى وإن كان جلاء الفرنسيين قد جاء على يد البريطانيين بعد معاهدة العريش. إن عدم الربط بين الأحداث يجعل النص التاريخى غير متضامن، تغيب عنه العناصر التى تسمح بالتحليل للوصول إلى الاستنتاجات المنطقية التى تحتمها الأحداث.

إن عدم ترابط المادة التاريخية يجعلها تبدو وكأنها يتخللها نوع من الانفصام، فمن ناحية تسرد الأحداث من خلال خطاب العنف المتمركز فى العدوان الفرنسى والمقاومة المصرية التى تقابله، ومن ناحية أخرى يتم عرض النتائج من خلال خطاب التقييم العلمى الإيجابى للحملة. بالتالى تبدو المادة التاريخية لعرض الحملة الفرنسية على مصر مقسمة إلى جزأين: يتضمن الجزء الخاص بالأحداث الأهداف المعرفية والوجدانية التى أشرنا إليها سلفا. وقد انتهج مؤلفو المقررات للوصول إلى هذه الأهداف نهجا يعتمد على عرض الحدث التاريخى بطريقة سردية وفقا

للتسلسل التاريخى للأحداث، كل حدث بتاريخه مبينين الأسباب والنتائج الفورية والوقتية للحدث حتى يتعرف عليه التلميذ ويحفظه بمساعدة معلمه دون الإشارة إلى الأساليب المهارية والتحليلية التى يجب استخدامها لتناول وفهم المادة التاريخية. فى نفس الوقت يبرز سرد الأحداث الأهداف الوجدانية التى من شأنها تنمية روح الانتماء والولاء للوطن وروح المواطنة والتمسك بالحرية والاستقلال عند التلميذ، وإبراز دور الشعب المصرى وزعمائه فى مقاومة المحتل.

ويخص الجزء الثانى نتائج الحملة بإيجابيتها دون ربط هذا الجزء بما سبق من أحداث فى الجزء الأول الذى صور دور الشعب المصرى فى مقاومته للمعتدى فى صورة الضحية المغلوب على أمرها أمام عدو أقوى منه وأمام حكام خذلوه وفشلوا فى صد العدوان ولاذوا بالفرار. إن روح المواطنة التى يود واضعو المناهج غرسها فى نفوس النشء، لا يمكن أن تنمو عند الشعور بالفشل والخذلان. إن تنمية المواطنة لابد أن ينبع من الشعور بالفخر والثقة بالنفس ويكون موجها إلى الأمام أى المستقبل فى عملية بناءة، تفتح الأفق أمام نشء مسئول تجاه نفسه وتجاه المجتمع الذى يعيش فيه، وذلك لا يتأتى إلا بوضع المادة التاريخية فى إطارها العام وبتحليل هذه المادة لمعرفة أسبابها ومسبباتها ونتائجها وليس فقط بسردها.

إن عرض أحداث الحملة الفرنسية على مصر على هذا النحو يجعل من كتابة التاريخ عملية قائمة على نسق يعتمد على ترتيب المضمون وفقا لثلاثة توجهات ألاّ وهى:"اختيار الأسباب التى أدت إلى الحدث"، "سرد الأحداث" و"تحليل النتائج" دون أن يكون هناك "استراتيجية فكرية فى تعليم التاريخ". إن تبنى "النهج السردى" يجعل من الحدث ونتائجه محور الكتابة التاريخية ليصبح حدثا فرديا وظرفيا، ومحدد الزمان والمكان، دون أن يكون مرتبطا بالبنية الزمنية الشمولية التى من شأنها أن تعطيه البعد التاريخى، ليدخل فى إطار حقبة تاريخية من بين الحقبات التاريخية الأخرى، وليأخذ الحدث مكانته الصحيحة ومدلولاته الكاملة ضمن منظومة التراث الإنسانى.

مصادر الدراسة

1. المناهج التاريخية

- وزارة التربية والتعليم، الإدارة العامة للتعليم الإعدادى، إدارة المناهج والكتب، الأهداف العامة لمقررات الدراسات الاجتماعية (المرحلة الإعدادية) 2002-2003.
- مصر فى العصر الحديث لتلاميذ السنة الرابعة الإعدادية، 1954، وزارة التربية والتعليم.
- تاريخ الوطن العربى فى العصر الحديث للصف الثالث الإعدادى، 1959. الجمهورية العربية المتحدة. وزارة التربية والتعليم.
- الإقليم المصري- التاريخ الحديث للوطن العربى الكبير للصف الثالث الإعدادى، الطبعة الأولى 1960. وزارة التربية والتعليم.
- تاريخ مصر الحديث والمعاصر للصف التاسع من التعليم الأساسى، 1985-1986. وزارة التربية والتعليم.
- الدراسات الاجتماعية. مصر والعالم الخارجى للصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسى، 1988-1989. وزارة التربية والتعليم.
- الدراسات الاجتماعية. مصر والعالم، الصف الثالث الاعدادى، 1995-1996. وزارة التربية والتعليم.
- الدراسات الاجتماعية. جغرافية العالم ودراسات فى تاريخ مصر الحديث- الصف الثالث الإعدادى، 1997-1998. وزارة التربية والتعليم.
- الدراسات الاجتماعية. جغرافية العالم ودراسات فى تاريخ مصر الحديث. الصف الثالث الإعدادى. الفصل الدراسى الأول، 2005-2006. وزارة التربية والتعليم.

2. المراجع

- د. كمال مغيث، نابليون فى عقول الطلبة، مجلة سطور، العدد 19، يونيو 1998.
- د. زكى البحيرى، تاريخ مصر الحديث والمعاصر فى مقررات المدارس المصرية. بين الاحتلال والاستقلال، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، تاريخ الإيداع 1996.
- المدرسة التاريخية المصرية 1970-1995، إشراف د. محمد عفيفى، دار الشروق، القاهرة، CEDEJ 1997.
- د. محمود خليل إبراهيم، دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر، الجزء الأول 1516-1900، الطبعة الثانية، 1999.
- Dominique Borne, « Une discipline d'enseignement », in *L'histoire aujourd'hui*, Ed. Sciences Humaines, PUF, 1999.
- Antoine Prost, « Les acteurs dans l'histoire », in *L'histoire aujourd'hui*, Ed. Sciences Humaines, PUF, 1999.
- François Bourguignon, « L'écriture de l'histoire: le discours en question », in *L'histoire aujourd'hui*, Ed. Sciences Humaines, PUF, 1999.
- Mare Ferro, *Comment on raconte l'Histoire aux enfants à travers le monde entier*, Paris, Payot, 1985.
- Pierre Nora, « Le retour de l'événement », in *Faire de l'histoire. Nouveaux problèmes 1*, Paris, Gallimard, 1974.

* * *